الزمن لم يكن يعني لديه (لحامد) شيئاً فيما كان بالنسبة لي موتاً يعلن عن نفسه كل يوم مرتين على الأقل» (ص ١٨٧).

وفي أعماق الصحراء، هناك، يلقي حامد بالزمن القديم، حين يخلع ساعته عن معصمه ويطرحها على الرمال ثم يمضي موغلاً في جوف المكان بلا ساعة «وأمامي انبسطت المسافة السوداء عالماً من الخطوات غير مربوط بعقربين صغيرين. **لقد انطوى زمنها الصغير المتوتر الأحمق**...» (ص ١٩١).

لقد أحس باللذة التي يستشعرها المرء وهو يقشر طبقة الدم المتخثر فوق الجرح القديم «فتسقط معه ذكرى الجرح ذاته» (ص ١٩١). ومع ارتفاع السكين في وجه العدو، تكون المواجهة الاولى، وهنا يبدأ الزمن الجديد.

وإذا كانت «ما تبقى لكم» هي رواية المكان والزمان في تشابكهما واختلاطهما، فإن (أم سعد) هي رواية الزمن الجديد في أبسط تجليات تحوله. «مثل دقات **الساعة** جاءت. هذه المرأة تجيء دائماً، تصعد من قلب **الأرض** وكأنها ترتقي سلماً لا نهاية له...» (ص ٢٤٥).

إنها (الساعة / الزمن الجديد)، تنبت من (الارض / المكان البعيد)... لتخطو خطواتها الصاعدة.

ببساطتها، تدرك «أم سعد» معنى الزمن الجديد، وهي تعيشه بلحظاته المتغيرة، محتفلة به، وقادرة على أن تعطيه من دمها وعرقها. ومثلما تعرف علاقة النبتة بالأرض (المكان) فإنها تدرك أن النبتة لا تنمو إلا مع الزمان.

في اللوحة الاولى، تأتي «أم سعد» بعرق دالية فتيبس وهي تقول: «قطعته من دالية صادفتني في الطريق، سأزرعه لك على الباب، وفي أعوام قليلة تأكل عنباً» (ص ٢٤٩).

وفي اللوحة الأخيرة، نرى «أم سعد» وهي تنكب فوق التراب حيث غرست «منذ زمن بدا لي في تلك اللحظة سحيق البعد تلك العودة البنيّة التي حملتها الي ذات صباح» (ص ٣٣٦). وكانت تنظر إلى الرأس الأخضر الذي بدأ يشق التراب وهي تقول: إن الدالية قد برعمت.

وفي رواية «عائد إلى حيفا»، يحاول سعيد س. وزوجته استعادة علاقتهما بالمكان المفقود، فيصلان إلى مدينتهما حيفا التي احتلت منذ عشرين عاماً قادمين من رام الله التي احتلت قبل عدة اسابيع...

وبمجرد وصول «سعيد س.» إلى حيفا يسمع صوت البحر مثلما كان يسمعه في الماضي، فتنهال عليه الذاكرة.. «لم تعد إليه الذاكرة شيئاً فشيئاً، بل انهالت في داخل رأسه، كما يتساقط جدار من الحجارة ويتراكم بعضه فوق بعض» (ص ٣٤١) .